بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ على سيدنا محمد نبي الرحمة وآله وصحبه وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

"وتعاونوا على البرّ والتقوى"

كلمة بمناسبة "موقف أديان العائلة الإبراهيمية في قضايا تتعلق بإنهاء الحياة"

الفاتيكان 28 – 10 – 2019

معالي الشيخ عبد الله بن بيه

رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة

حضرة الحبر الأكبر البابا فرانسيس بابا الكنيسة الكاثوليكية،

أصحاب الفضيلة والنيافة والسعادة،

أبناء العائلة الإبراهيمية الكبرى،

أيها الحضور كل باسمه وجميل وسمه،

يسرني أن أبلغكم تحيات صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رعاه الله، وصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وأن أؤكد من جديد أن دولة الامارات تسعى دائماً لإعلاء القيم المشتركة للعائلة الإبراهيمية وكل القيم الإنسانية التي تهدف إلى الخير وتحث على التعايش السعيد. وفي هذا العام عام التسامح في دولة الامارات لا زلنا نذكر زيارة الحبر الأعظم البابا فرانسيس وتوقيع وثيقة الاخوة الإنسانية مع فضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب برعاية وعناية من صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد حفظه الله وحكام دولة الامارات.

أيها الحضور الكريم،

سأحاول أن أوجز القول في كلمات قليلة ورسائل مختصرة، الكلمة الأولى حول قيمة التعاون، والثانية حول العائلة الإبراهيمية، والثالثة حول قيمة الحياة، والأخيرة حول حلف الفضول الجديد بين الأديان.

ولكن دعوني أعبّر عن شكري وتقديري للقائمين على هذا اللقاء، فأشكر الأكاديمية البابوية للحياة، وسائر شركاءها، الذين أشرفوا على إعداد هذا الموقف الموحد للعائلة الإبراهيمية حول تحريم إنهاء الحياة.

أيها الحضور الكريم ،

يعكس هذا المحفل الكبير إيمانا صادقا بقيمة التّعاون على الخير، ووعيا عميقا بأننا مثلُ ركاب السفينة، تجمعنا وحدة المصير والمسار، فلا نجاة لبعضنا إلا بنجاة الجميع ولا خلاص لأمة دون أمة أو دين دون بقية الأديان، ولا خلاصَ للجميع إلا بالتعاون على الخير، بذلك أمرتنا النصوص المقدسة وإليه دعتنا العقول المستنيرة، ففي القرآن الكريم، خطابا لجميع الناس، على اختلاف أديانهم وأعراقهم: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان".

إن هذا التّعاون على الخير هو الذي يوجه لقاءنا اليوم، حيث نستشعر جميعا الحاجة إلى أن تتكامل أدوارنا، انطلاقا من مواقعنا ودوائر تأثيرنا، لنسهم في استعادة الضمير الأخلاقي للإنسانية، الذي يعيد الفاعلية لقيم الرحمة والغوث ومعاني التعاون والإحسان.

أيها الحضور الكريم،

إنّ اجتماعنا هذا ينطلق كذلك من قناعتنا المشتركة أنّ الأخلاق الدينية ما تزال قادرة على أن ترشد العالم إلى سبيل الخلاص من مشكلاته العضالية، من خلال تقديم مفهوم جديد للإنسانية يتجاوز المبدأ المحايد لحقوق الإنسان إلى إيجابية قيم المحبة والأخوة.

إننا نحن أبناءَ العائلة الإبراهيمية نتشارك في الرواية الأصلية للقيم والفضيلة وأصول الأخلاق التي تؤسّس للسّلام والتعايش بين مختلف الشعوب.

إن لدينا مشتركات كثيرة أدّى تجاهلها إلى كثير من الحروب والدمار، وإلى ابتعاد البشرية عن القيم التي أرساها الأنبياء، قيم الخير والمحبة والتراحم.

إننا نشترك على مستوى أول في المشترك الإنساني الذي هو القيم الكونية التي لا تختلف فيها العقول ولا تتأثر بتغيّر الزمان أو محددات المكان، أو نوازع الإنسان، لأن لها منابت وأصولا تحفظها من عوادي الدهر وتعسفات البشر.

كما تجمعنا مشتركاتنا الخاصة، نحن أبناء العائلة الإبراهيمية، مشتركات الإيمان، المبثوثة في كل رسائل ودعوات الأنبياء، أولئك الذين قال عنهم نيتشه في لحظة وعي شارد إنهم القلة الذين أوجدوا القيم في التاريخ.

تلك المشتركات تدور حول ما أسماه الفقهاء المسلمون بالضروريات الخمسة، وهي ضروري الدين وضروري الحياة وضروري العقل وضروري المال وضروري العرض والنّسب.

 نعتبر في الإسلام أن هذه الضروريات هي أساس المشترك الديني بين كل الشرائع والملل، وخاصة أديان العائلة الإبراهيمية، فجميعها جاءت بحفظها ورعايتها، حيث إنّها المقاصد الكبرى لكل الأديان، الحافظة لكرامة الإنسان.

أيها الحضور الكريم،

إننا نجتمع اليوم للتذكير بضَرُورِيِّ الحياة، الذي بدأت تمتدّ إليه يدُ العابثين من كلّ صوب، بالإجهاض قبل الإيجاد، و بالإرهاب والاحتراب أثناء الحياة، وبالإجهاز لدى الممات. إنها بوادر اختلال في القيم واعتلال في جسم المجتمعات الإنسانية يغذوه تقدُّم مادّي غير مؤطّر أو محصّن بسياج من قيم الخير والمحبة والسلام.

إننا في الإسلام نؤمن بأنّ الله هو الخالق الذي منح الإنسان الحياة ووهبه الكرامة، وهو وحده الذي وضع له أجلا محتوما، وأن ليس للإنسان الحق في انتزاعها من نفسه أو من غيره، تلك إحدى الوصايا العشر التي وصّى الله بها عبادَه المؤمنين على لسان أنبياءه عليهم السلام.

إننا نؤمن أن حياة الإنسان الواحد هي بمثابة حياة البشرية كلها وأن الله أوحى إلى موسى عليه السلام –كما في القرآن الكريم: "إنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً" {المائدة:32}.

فملك الإنسان لنفسه هو كما يقول الفقهاء المسلمون ملك انتفاع لا ملك منفعة، فلا يحق له التصرّف فيه بإتلافه أو تفويته أو بيعه، فالحياة هبة من الله، هو وحده يهبها وهو وحده يستردها، وكما قال أبونا إبراهيم عليه السلام في ما حكى عنه القرآن الكريم: "الذي خلقني فهو يهدينِ والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفينِ والذي يميتني ثم يحيينِ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين" {سورة الشعراء: 78-82}.

إننا نؤمن بأن الكرامة الإنسانية لا تزول أو تحول، بزوال الصحة أو تحوّل القوة، وأن واجب الأخوة الإنسانية يلزمنا أن نقف إلى جانب المريض حتى آخر لحظة نمدّ له يد العون ونخفف عنه الآلام، من غير تبرّم ولا تعجّل. ذلك مقتضى الكرامة الإنسانية بل مقتضى الرحمة الربانية كذلك: {ولا تقتلوا أنسفكم إن الله كان بكم رحيما} {سورة النساء: 29}.

كما نؤمن أن ‏اليأس مرض عضال، إذا استولى على النفوس أضناها، وعلى البصائر أعماها، وهو من أكبر الآثام، لأن الكريم لا ييأس من رحمته إلا من لا يعترف أو يَعرف كرمه، فوصيتنا للجميع، للمريض ولأهل المريض وللأطباء والممرضين، هي وصية الأمل التي وصّى بها سيّدنا يعقوب عليه السلام أبنائه: "ولا تيأسوا من روح الله" {سورة يوسف:87}.

أيها الحضور الكريم،

إن اجتماعنا اليوم يمثل خطوة جديدة في مسار العمل الديني المشترك، فهي أول مرّة تجتمع فيها الأديان لتجسّد اتفاقها في القيم والأصول وتنزّله على مستوى التّطبيقات العملية الفرعية.

إن وعي إخوةٍ لكم بضرورة التعاون وإيمانهم بمشتركات القيم والفضيلة والحاجة إلى تنزيلها وتطبيقها في مواقف موحّدة وممارسات مجسّدة، حداهم منذ فترة – في واشنطن وأبوظبي- إلى الشروع في صياغة تحالف أخلاقي بين أبناء العائلة الإبراهيمية الثلاث بكل فصائلها ومذاهبها، وبمشاركة كلّ محبي الخير من أبناء العائلة الإنسانية الكبرى.

أطلقنا على هذا التحالف اسم حلف الفضول استلهاما لروح حلف الفضول التاريخي الذي شهدته الجزيرة العربية قبل الإسلام، وزكاه نبي الإسلام سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث امتاز هذا الحلف بكونه لم يؤسس على ما كان معهودا من المشترك الديني أو الانتماء القبلي أو العرقي بل تأسس على القيم والفضيلة.

يسعى حلف الفضول الجديد انطلاقا من الأرضية الروحية الصلبة لديانات العائلة الإبراهيمية لإطلاق مبادرات ميدانية تتصف بالديمومة والتجدّد، تجمع ولا تفرّق، تنفع ولا تضر، تتسق مع روح الأديان، وتستجيب لحاجات الإنسان.

فلذلك أعلن دعمي للموقف الموحّد للعائلة الإبراهيمية من تحريم إنهاء الحياة، وأدعو إلى مزيد من المواقف الموحّدة التي تعيد للدين طاقته الإيجابية، ليظلّ أملا للإنسانية وبلسما لجراحها ودواء لمآسيها وسكينة تنزل على القلوب وحُبا يسكن في النفوس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.